الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزراة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 08 ماي 1945 قالمة

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب عربي

الأستاذة: إيمان حراث

المستوى: سنة أولى ماستر

تخصص: أدب عربي جزائري

الأفواج: (ف1+ف2)

المحاضرة الثالثة:

ماهية التفاعل والتفاعلية

تمهيد:

يمثل الأدب التفاعلي جنس أدبي جديد تنطوي تحته أشكال كتابية جديدة من بينها الرواية التفاعلية والشعر التفاعلي، والمسرحية التفاعلية، وهو ذلك الجنس الأدبي الذي ولد في رحم التكنولوجيا، لذلك يوصف بالأدب التكنولوجي أو الأدب الإلكتروني، لأن التكنولوجيا هي الّتي توفر البرامج المخصصة لكتابة نص إلكتروني قائم على الروابط والوصلات، وعلى الوسائط المتفاعلة الّتي تمكن من المزاوجة بين الشفهي والكتابي (التشكيل البصري)، وكل ما يتصل بها من إمكانيات صوتية وموسيقية وصورية، فهو نسيج يتوالد باستمرار، بالإضافة إلى ذلك قيام علاقة تفاعلية بين المبدع والمتلقي (المبدع).

أولا- مفهوم التفاعل

صيغة "تفاعل" هي بناء مزيد، تدل الزيادة فيها على المشاركة، مثل: تحاور، تخاصم. فالتفاعل يحتاج إلى وجود طرفين على الأقل، لكلّ منهما دور في الفعل.

يعرف "سعيد يقطين" التفاعل Interactivité بأنّه «يعتبر في الأعلاميات بمثابة عملية التبادل أو الإستجابة المزدوجة الّتي تحقق بين الإمكانات الّتي يقدمها الإعلامياتي للمستعمل، والعكس، ويمكن التدليل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلا للإنتقال إلى صفحة أخرى، كما أنّ الحاسوب يمكن أن يطلب من المستعمل فعل شيء ما، إذا أخطأ التصرف من خلال ظهور شرط يحمل معلومات على المستعمل الخضوع لها لتحقيق الخدمة الملائمة، وهناك معنى آخر للتفاعل أعم وأهم وهو ما يتمثل في العمليات الّتي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة الّتي تفيده، وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية الّتي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع »[1]

إنّ التفاعل المعهود هو التفاعل النصي الّذي تحدثه قراءة النص الأدبي وكتابة انطباع أدبي أو نقدي عن هذا النص لا أكثر. أما مفهوم التفاعل في الأدب التفاعلي غير متعلق بالقراءة مباشرة، وإنّما يتم بين العناصر الكلية من ضمنها القارئ، الّذي أصبح عنصرا داخليا مساهما في صناعة المحتوى الرقمي التفاعلي، من خلال المشاركة في إنتاج هذا المحتوى وإعادة كتابته من جديد، لذا يتوجب عليه التمكن من

[1] سعيد يقطين، من النص إلى النص المترابط مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، 2005م، ص259

دواليب البرمجة، فضلا على أنّ التفاعلية تعني إنجاز ذلك في ظرف زمني قياسي، ومن قبل مجموعة لا منتهية من المتفاعلين والمتنافسين في الآن ذاته.

هكذا فإنّ العلاقة التفاعلية لم تعد ثنائية، زوجية محصورة بين العمل الفني والجمهور، بل إنّها تمتد إلى عدد كبير من المتلقين، هنا يؤاخي الإبداع الفني بين العديد من الشركاء المؤلفين.
حسب "إسبن آرسيث" Espen Aarseth، هناك أربع وظائف للمتلقي المتفاعل مع النص الرقمي وهي: التأويل، والإبحار، والتشكيل، والكتابة.
التأويل يكون ملازما لكلّ قراءة، ثم يبحر القارئ للنص الإلكتروني في بنية النص المترابط، بعدها التشكيل، يعني إعادة بناء النص في حدود معينة. أما الوظيفة الأخيرة للمتلقي / المستخدم فهي الكتابة، أي المشاركة في كتابة النص، وقد يقصد بالكتابة "البرمجة".
وعليه تحولت التفاعلية إلى شكل من أشكال الإبداع الرقمي، لما تتيحه للمتلقي من إمكانية إنتاج النص وبعثه من جديد.

ثانيا- مفهوم التفاعلية

تعددت المفاهيم الّتي قدمت لتعريف التفاعلية وفقا لمجالات التخصص المتنوعة الّتي يتوافر فيها نوع من التفاعلية، فهي «مفهوم متعدد الأبعاد والاستخدامات، فالتفاعلية تعدّ مفهوما تكامليا تهتم به العديد من التخصصات البحثية المختلفة، لذا فإنّ ما يعنيه متخصص المكتبات بالتفاعلية يختلف إلى حد كبير عما يعنيه باحث الإعلام أو مبرمج الكمبيوتر»[1].

إنّ (التفاعلية) ليست مصطلحاً أدبياً أو إنترنتياً إنّما نمط حياة ووسيلة للتعامل مع الأمور المختلفة الّتي تمر على الفرد بصورة يومية، فمن كان شأنه التفاعل مع كل تفاصيل حياته لابد له أن يتفاعل على نحو لا إرادي مع ما يقدم له من نصوص أدبية أو غيرها، وهي «تطلق على الدرجة الّتي يكون فيها للمشاركين في عملية الاتصال تأثير على أدوار الآخرين واستطاعتهم تبادلها ويطلق على هذه الممارسة الممارسة المتبادلة أو التفاعلية، وهي تفاعلية بمعنى أن هناك سلسلة من الأفعال الاتصالية الّتي يستطيع الفرد (أ) أن يأخذ فيها موقع الشخص (ب) ويقوم بأفعاله الاتصالية، المرسل يستقبل ويرسل في الوقت نفسه وكذلك المستقبل، وبذلك تدخل مصطلحات جديدة في عملية الاتصال مثل الممارسة الثنائية، التبادل

[1] حجاب، محمد منير: المعجم الأعلامي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004م، ص 747

والتحكم، والمشاركين»[1]. فهي تطلق على سلسلة الأفعال الاتصالية الّتي يستطيع الفرد أن يأخذ فيها موقع الشخص (ب)، ويقوم بأفعاله الاتصالية، فالمرسل يرسل ويستقبل في الوقت نفسه، وكذلك المستقبل ويطلق على القائمين بالاتصال لفظ مشاركين بدلا من مصادر، وقد أورد الباحثون في هذا الموضوع بعض الوسائل الّتي يوجد فيها تفاعل بين المستخدم والمرسل وذلك مثل: الهاتف، التلفزيون التفاعلي المؤثرات عن بعد والكمبيوتر الشخصي، وغير ذلك من الوسائل الإعلامية الّتي يستخدمها الجمهور في تبادل المعلومات مع المرسل، كما تعد التفاعلية خاصية من خصائص تكنولوجيا الاتصال[2].

ولا تختص صفة (التفاعلية) بالأدب في طوره الإلكتروني؛ إذ إن الأدب في جميع أطواره لا يكتسب وجوده وكينونته إلا بتفاعل المتلقين المختلفين معه، كان الأدب كذلك قبل الإنترنت، وهو بطبيعته تفاعلي وأن النص الأدبي لا يكتسب قيمته ولا يتحقق وجوده إلا بوجود متلق متفاعل معه. ولم يكسبه انتقاله إلى طور الإلكترونية صفة (التفاعلية)، ولكن هذه الصفة الّتي اكتسبت أبعاداً جديدة، فأصبحت تعني سيادة المتلقي على النص، وحريته في اختيار نقطة البدء فيه، والانتهاء به كيف يشاء. وعند البحث في الجذور (فعل) في المعاجم العربية التراثية نجد صيغاً وتصريفات كثيرة، ولكن صيغة (تَفَاعُل) غير موجودة على الإطلاق، إلا بالمعنى الكيميائي.

ومن غير الممكن فهم الأدب التفاعلي[3] إلا على ضوء تحليل لفظة (التفاعلية)، وتجلياتها المختلفة في الثقافة عربيا وغربيا، والّتي تعددت المفاهيم الّتي قدمت تعريفا لها وفقا لمجالات التخصص المتنوعة الّتي يتوافر فيها نوع من التفاعلية، حيث إن كلمة التفاعلية Interactivité مركبة من كلمتين في أصلها اللاتيني؛ أي من كلمة Inter وتعني بين أو فيما بين، ومن كلمة (Activus)، وتفيد الممارسة في مقابل النظرية وعليه «عندما يترجم المصطلح التقليدي L'interactivité من اللاتينية يكون معناه ممارسة بين اثنين أي تبادل وتفاعل بين شخصين»[4]

[1] محمود علم الدين، تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة، دار السحاب للنشر والتوزيع، ط1، 2005م، ص177
[2] عبد الباسط محمد عبد الوهاب، استخدام تكنولوجيا الاتصال في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني، دراسة تطبقية ميدانية، المكتب الجامعي الحديث، اليمن 2005م، ص260
[3] تعدد المصطلحات الّتي يستخدمها الباحثون والنقاد العرب المعاصرون للدلالة على هذا النوع من الإبداع، ومنها: الأدب التفاعلي، الأدب الرقمي والأدب الافتراضي والأدب الالكتروني، والأدب المعلوماتي وغيرها
[4] زعموم خالد، بومعيزة السعيد: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائل، اتحاد إذعات الدول العربية، تونس، 2007م، ص25

وإذا عدنا إلى ما بين أيدينا من معاجم تراثية لنبحث عن لفظة (التفاعلية) وعن جذرها (فعل) فإننا نجد لهذا الجذر صيغا وتصريفات كثيرة، ولكن صيغة (تفاعل) غير مستخدمة بمفهومها المعاصر، كما أن اللفظة في العصر الحديث لا تستخدم إلا في نطاق ضيق يشير إلى ما هو كيميائي فيقال: "تفاعل المواد الكيميائية".

وتبقى التفاعلية «هي المطلب الرئيسي الذي يبحث عنه الكثير من المستخدمين بينما لم يدرك مفهومها إلا القليل جدا»[1]. فهي «الدرجة الّتي يكون فيها للمشاركين في العملية الاتصالية تأثير على أدوار الآخرين وباستطاعتهم تبادلها ويطلق عليها (على ممارستهم) الممارسة المتبادلة أو التفاعلية»[2]. وهنا يجب التمييز بين التفاعلية في الاتصال الشخصي، والتفاعلية كمفهوم حديث مرتبط ارتباطا وثيقا بتكنولوجيا الاتصال الحديثة، فهي سمة طبيعية في الاتصال الشخصي وسمة مفترضة بالنسبة لوسائل الإعلام الحديثة وفي مقدمتها الإنترنيت، فالجمهور على الشبكة ليس مستقبل للرسائل وإنما مرسل لها في الوقت ذاته هذا ما يؤدي إلى مستوى مرتفع في التفاعل. فهي «من أهم سمات المجتمع المعلوماتي، وتعني قدرة مستقبل الاتصال على التعامل مع المشتركين الآخرين وتبادل ردود الأفعال المستمر لمعلومات ومكونات هذه الشبكة طبقا لما يرونه من رد الفعل. ولهذا تتميز التفاعلية بالتشبيك، بمعنى الربط الكامل بين جميع مستخدمي الشبكة»[3].

من هنا نفهم معنى التفاعلية يكمن في التبادل والتفاعل، يتم من خلال الاتصال بين شخصين، إذن فهي فعل اتصالي قديم. لكن مفهوم التفاعلية في استعمالاته بالإشارة إلى الوسائط المتعددة، فيعتبر حديث العهد نسبيا ووليد العلاقات بين الناس والآلات[4]. فهي اتصال تبادلي ذو اتجاهين من المرسل إلى المستقبل ومن المستقبل إلى المرسل، ويصعب فيه التمييز بين المرسل والمستقبل، والتفاعلية قد تكون تزامنية أو غير تزامنية ويشترط فيها وجود طرفي الاتصال المرسل والمستقبل في آن واحد. لأنه وفي حال البريد الإلكتروني، مثلا، يعتبر أداة تفاعلية غير تزامنية لا يشترط فيها وجود طرفي الاتصال في آن واحد.

[1] شفيق حسين، الإعلام الالكتروني بين التفاعلية والرقمية، رحمة برس للطباعة والنشر، 2007م، ص29
[2] حجاب، محمد منير: المعجم الأعلامي، مرجع سابق، ص746
[3] المرجع نفسه، ص 156
[4] زعموم خالد، بومعيزة السعيد: التفاعلية في الإذاعة، أشكالها ووسائل، مرجع سابق، ص 26

ولذلك يرى البعض أن لفظة التفاعلية «لا تعني القدرة على الإبحار في العالم الافتراضي وحسب بل تعني قوة المستخدم وقدرته على التغيير فيه»[1]. ويكمن جوهر الاتصال التفاعلي في الاستجابة الّتي بدونها لا يتم التفاعل، حيث تتوقف التفاعلية على سيطرة المستقبل على العملية الاتصالية وهذا متاح من خلال استعمال تكنولوجيا الاتصال التفاعلي والذي بواسطته يستطيع المستقبل تعديل أو تغيير شكل ومضمون الرسالة الاتصالية الموجهة إليه من المرسل.

وترى الباحثة "فاطمة البريكي" أن التفاعلية نمط حياة ووسيلة للتعامل مع الأمور المختلفة الّتي تمر على الفرد بصورة دائمة، فمن كان شأنه التفاعل مع كل تفاصيل الحياة لابد أن يتفاعل على نحو لا إرادي مع ما يقدم له من نصوص أدبية أو غيرها ورقية كانت أو إلكترونية، ومن كان شأنه تطوير أسلوب تفاعله. مع هذه الأمور مع ما يستجد بمرور الزمن من شأنه أيضا يطور تفاعله مع النصوص طالما تطورت طبيعة النصوص ذاتها، وتغيرالوسيط الحامل لها، والعكس بالعكس[2].

وتقدم الانترنت أشكالا متنوعة فيما يخص التفاعلية عبر شبكتها متمثلة فيما يلي:

التفاعلية الإرشادية: هي الّتي ترشد المستخدم بالتوجه إلى الصفحة الموالية أو السابقة، أو العودة إلى الأعلى أو إلى صفحة الاستقبال أو غيرها.

التفاعلية الوظيفية: وهي الّتي تتم عبر البريد المباشر أو الروابط، أو مجموعات الحوار.

التفاعلية التكيفية: وهي الّتي تمكن موقع من المواقع أن يكيف نفسه مع سلوك المستخدمين أو الزائرين بالنسبة للشركات والمؤسسات الّتي تقوم بالإعلان عبر الشبكة[3].

[1] فاطمة البريكي، مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص63
[2] المرجع نفسه، ص 66
[3] محمد لعقاب، الأنترنت وعصر ثورة المعلومات، دار هومة، ط1، الجزائر، 1999م، ص 58